

افتتاحية العدد السابع

غزة بين مازقين

الأستاذ الدكتور

وليد عبد العبي

غزة بين مأزقين

عند التمعن في المشهد القائم في فلسطين هذه اللحظة، فإن طرفي الصراع-المقاومة واسرائيل- يواجه كل منهما مأزقا معقدا على النحو التالي:

أولاً: المأزق الاسرائيلي:

يتمثل المأزق الاسرائيلي في جانبه الاستراتيجي في تنامي الدعوة الدولية لتبني حل الدولتين (بغض النظر عن قبول او رفض البعض العربي او الفلسطيني لها) ، وهو ما يعتبره نتنياهو "إثما سياسيا لن يقتطفه تحت أي ظرف من الظروف" ويسعى بكل قوته وحيله لتجنبه ، لكن مؤشرات الضغط على اسرائيل في اتجاه حل الدولتين تتبدى في المؤشرات التالية:

١. لو عدنا الى اتفاق أوسلو ١٩٩٣ وملحقاته سنجد ان الطرف الاسرائيلي أصر على تضمين الاتفاق العبارة التالية " اينما ورد تعبير الضفة الغربية في الاتفاق فهو يعني "يهودا والسامرة" بالنسبة لإسرائيل، ذلك يعني ان اسرائيل هي فلسطين كلها. وهنا من الضروري ملاحظة ان هذه العبارة تبناها "اليسار الصهيوني مع اسحق رابين وشيمون بيريز وليس مع الليكود المتحالف مع القوى الدينية التي لا ترى في فلسطين الا الارض الموعودة. ذلك يعني ان نتنياهو لا يعترف بكيان اسمه فلسطين لا قديما ولا حاضرا ولا مستقبلا، فكيف سيواجه مجتمعا دوليا تتسع دائرة قبوله بدولة فلسطينية، ولعل التوجه الاوروبي وبخاصة قوى الاستعمار التقليدي وآخرها تصريح الرئيس الفرنسي أمس بذلك -يسير في هذا الاتجاه بما يوحي لنتنياهو بمأزقه

المحتمل. ومن الواضح أن توصية الكنيست الأخيرة بضم الضفة الغربية ليس إلا إجراء استباقيا لإجهاض التوجه لحل الدولتين

٢. التزايد الواضح في تأييد الرأي العام الشعبي الدولي لحل الدولتين، وقد تراوحت نسبة اصحاب النظرة السلبية تجاه إسرائيل طبقا لثلاثة استطلاعات من مؤسسات متخصصة ما بين ٦٩٪ - ٧٣٪، ولكن المقلق لنتنياهو هو ان التحول يتركز في شريحتين في كل دول العالم ومن ضمنها امريكا وفي الحزبين السياسيين الاكبر تحديدا، الشريحة الاولى هي النخب الثقافية، والشريحة الثانية هي شريحة الشباب، وهو ما يعني ان العقل والتشكل الاجتماعي مستقبلا يوحى بما يقلق نتنياهو، فلا بد له من وأد ذلك مبكرا.

٣. ان تزايد عدد الدول التي تؤيد فكرة دولة فلسطينية يكاد ان يصل الى ما نسبته ٨١٪ من دول العالم، وتمثل أكثر من ٩٥٪ من سكان العالم، فإذا استثنينا الولايات المتحدة، فان التوجه الاوروبي والروسي والصيني والياباني والهندي ومعظم الدول الاسلامية والاتحاد الافريقي وأغلب مجموعة الدول في امريكا اللاتينية تساند هذا التوجه، وهو ما يوحى لنتنياهو بضرورة التفكير لوضع استراتيجية مستقبلية لتمويه هذا التوجه اولا ثم طيه في ادراج الامم المتحدة، وهو امر ليس انجازه امرا بسيطا.

٤. اما الخطورة الاكبر في مأزق نتنياهو فتتمثل في ان قبوله بأي انسحاب من الضفة الغربية يعني خلع المستوطنات ، فإذا علمنا ان عدد المستوطنين في الضفة الغربية يساوي تقريبا عدد سكان اسرائيل عند تأسيسها عام ١٩٤٧، ناهيك عن أن اغلب المستوطنين هم من التيارات الدينية المتطرفة ، وأن التجربة التاريخية لخلع المستوطنات سابقا -ورغم قتلها في سيناء وغزة- كانت تجربة مريرة (مثل مستوطنة ياميت.. الخ)، وهو ما يجعل نتنياهو يستمع جيدا لتحذيرات احد اهم اعلام الدراسات المستقبلية في اسرائيل وهو ديفيد باسيينغ بان القبول بدولة فلسطينية يعني مباشرة حربا اهلية داخل اسرائيل،

فكيف يوفق ننتياهو بين ارادة دولية تتزايد نحو حل الدولتين وبين حرب اهلية محتملة إذا استجاب للنداء الدولي.؟ هذا هو البعد الآخر في مازقه.

٥. تتجسد الحدة الاكبر في رفض حل الدولتين في القوى المتحالفة مع ننتياهو في ائتلافه الحكومي، فإن استجاب للدعوة الدولية سيتفكك ائتلافه، وان بقي الى جانب هذا الائتلاف فكيف يواجه الضغط الدولي المحتمل؟ انه مازق سياسي، وقد يصل الى حد الاغتيال كما جرى مع اسحق رابين.

وللخروج من هذا المازق تعمل اسرائيل على:

١. محاولة تأزيم العلاقات الفلسطينية الدولية من خلال تقديم حركات المقاومة بأنها حركات اراهبية لا تستجيب للدعوات السلمية، وتقديم السلطة الفلسطينية بكل اوزارها على انها سلطة فساد لا لأن اسرائيل حريصة على النزاهة بل لأنها تريد تفريغ التفكير في وجود سلطة فلسطينية مستقلة مهما كانت، فمن غير المنطقي ولا يستقيم ان تعترف اسرائيل بسلطة وطنية فلسطينية مستقلة من جانب وترفض دولة فلسطينية من جانب آخر، فإما قبولهما او رفضهما معا ولكل تبعاته.

٢. العمل على تعزيز فكرة التهجير من فلسطين بما فيها سكان ١٩٤٨، وان تستوعب الدول العربية وغيرها الفلسطينيين المقيمين فيها ، وتهجير اراضي ١٩٦٧ لدول الجوار وشبه الجوار العربي، ولعل اقتراح ننتياهو بدولة فلسطينية في الاراضي السعودية او اطروحات بعض حلفائه بوطن بديل في الاردن أو التشاور مع بعض الدول الافريقية وكندا واستراليا... الخ لاستيعاب الجزء المتبقي، كل ذلك لطى فكرة الدولة الفلسطينية في اراضي ١٩٦٧.

٣. التعويل على توسيع التطبيع العربي مع اسرائيل (حجم التجارة العربية الاسرائيلية خلال مرحلة طوفان الاقصى تزايد طبقا لكل المراجع العربية والاسرائيلية والتقارير الدولية)، والهدف من ذلك هو تحويل الصراع العربي الصهيوني من صبغته الصفرية الى صبغته غير الصفرية، وهو ما سيُهمّش

التناقض حول فلسطين مع العالم العربي لصالح تنامي المصالح المشتركة المتجددة مع دول التطبيع ومع الواقفين في انتظار دورهم للدخول في نادي التطبيع العربي والاسلامي.

٤. تأجيج الميدان الاعلامي باعتبار القبول بدولة فلسطينية هو من باب معاداة السامية، ومساندة الارهاب، وايقاظ الهاجس الصليبي. وكل اساطير الدعاية للتأثير على الرأي العام.

ثانيا: المازق الفلسطيني:

قد يكون المازق الفلسطيني أكثر وطأة من مازق عدوهم، ويتمثل المازق في العجز عن تحقيق انتصار ميداني او وقف لإطلاق النار والدخول في تسوية فيها حد أدنى من الايجابية تتساوى مع حجم التضحية، ويعود كل ذلك الى:

1- ضعف المساندة الرسمية ممثلة في:

أ- غياب المساندة العربية بشكل عام، مع تراجع قوى المساندة تدريجيا، بل اتساع نطاق الحصار العربي والضغط الاعلامي العربي -بخاصة الخليجي والمصري -، وهو ما يعني غياب مقومات الصمود لفترات اطول، فحزب الله يتولى امره حاليا "انور السادات حزب الله"، والحشد الشعبي ذهب في اتجاه "تسمع جعجعة ولا ترى طحنا، وسوريا تشهد بداية محاولة تطبيق مشروع جدعون ساعر الذي نشره عام ٢٠١٥ وينفذه الآن "الجهاديون الجدد". بينما تحاول اليمن بأنصار الله كل جهدها لعرقلة هذا التراجع.

ب- الخلط المتعمد بين المقاومة الفلسطينية وبين حركة الاخوان المسلمين لغرض في نفس "يعقوب".

ت- غياب المساندة الاسلامية حتى في مستوى الاحتجاجات الشعبية والمظاهرات.

ث- تنامي النزوع البراغماتي في السياساتين الروسية والصينية تجاه الموضوع الفلسطيني

ج- ضعف المؤسسات الدولية في فرض توجهاتها القانونية والانسانية.

- ح- ضغوط فريق التفاوض الامريكي والعربي في الدوحة على المقاومة (عبر امريكا بنفوذها والمصري بمعايره، والقطري بكيس ماله)
- 2- ان القبول بحل الدولتين قد يؤدي الى انشقاقات بين قوى المقاومة (بخاصة حماس والجهاد) او داخل نفس هذه التنظيمات، وهو ما تتمناه سلطة التنسيق الامني او اسرائيل او اغلب الدول العربية.
- 3- ضغوط الحالة الانسانية في قطاع غزة على صانع القرار في المقاومة، وهي ضغوط يراهن نتنها هو على وصول المقاومة لحالة الياس والاستسلام من خلال الضغط العسكري والضغط الانساني والضغط النفسي الناجم عن انفضاض المساندة العربية الرسمية بخاصة من حول الموضوع الفلسطيني
- 4- العداء المستتر حينا والمعلن حينا آخر من سلطة التنسيق الامني للتضييق على المقاومة بالتنسيق مع التحالف "الإبراهيمي".
- ذلك يعني ان الاشتباك سيتواصل بأدوات قديمة وجديدة، والانهيار قد يطال الجانبين ولو بمستويات واشكال اخرى، فإذا كان ترامب "unpredictable": "فإن الشرق الاوسط "Unframeable"، فإذا اجتمع ال "Unpredictable" مع ال "unframeable" سترون المشهد الشاخص امامكم.. ربما.

